ومعنى القهر فوق العباد أنه خالق ما لا يدخل تحت قدرهم بحيث يوجد ما لا يريدون وجوده كالموت ويمنع ما يريدون تحصيله كالولد للعقيم والجهل بكثير من الأشياء بحيث إن كل أحد يجد في نفسه أمورا يستطيع فعلها وأمورا لا يستطيع فعلها وأمورا يفعلها تارة ولا يستطيع فعلها تارة كالمشي لمن خدرت رجله ؛ فيعلم كل أحد أن ا هو خالق القدر والاستطاعات لأنه قد يمنعها ولأنه يخلق ما يخرج عن مقدور البشر ثم يقيس العقل عوالم الغيب على عالم الشهادة . وقد خلق ا العناصر والقوى وسلط بعضها على بعض فلا تستطيع المدافعة إلا ما خولها ا .

والحكيم : المحكم المتقن للمصنوعات فعيل بمعنى مفعل وقد تقدم في قوله (فاعلموا أن ا عزيز حكيم) في سورة البقرة وفي مواضع كثيرة .

والخبير : مبالغة في اسم الفاعل من (خبر) المتعدي بمعنى " علم " يقال : خبر الأمر إذا علمه وجربه . وقد قيل : إنه مشتق من الخبر لأن الشيء إذا علم أمكن الإخبار به .

(قل أي شيء أكبر شهادة قل ا شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) انتقال من الاستدلال على إثبات ما يليق با من الصفات إلى إثبات صدق رسالة محمد A والى جعل ا حكما بينه وبين مكذبيه فالجملة استئناف ابتدائي ومناسبة ظاهرة .

روى الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي : أن رؤساء مكة قالوا : يا محمد ما نرى أحدا مصدقك بما تقول وقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس عندهم ذكرك ولا صفتك فأرنا من يشهد أنك رسول ا . فنزلت هذه الآية .

وقد ابتدئت المحاورة بأسلوب إلقاء استفهام مستعمل في التقرير على نحو ما بينته عند قوله تعالى (قل لمن ما في السماوات والأرض) ومثل هذا الأسلوب لإعداد السامعين لتلقي ما يرد بعد الاستفهام .

و (أي) اسم استفهام يطلب به بيان أحد المشتركات فيما أضيف إليه هذا الاستفهام والمضاف إليه هنا هو (شيء) المفسر بأنه من نوع الشهادة .

و (شيء) اسم عام من الأجناس العالية ذات العموم الكثير قيل : هو الموجود وقيل : هو ما يعلم ويصح وجوده . والأظهر في تعريفه أنه الأمر الذي يعلم . ويجري عليه الإخبار سواء كان موجودا أو صفة موجود أو معنى يتعقل ويتحاور فيه ومنه قوله تعالى (فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) .

وقد تقدم الكلام على مواقع حسن استعمال كلمة (شيء) ومواقع ضعفها عند قوله تعالى (

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع) في سورة البقرة .

و (أكبر) هنا بمعنى أقوى وأعدل في جنس الشهادات وهو من إطلاق ما مدلوله عظم الذات على عظم المعنى كقوله تعالى (ورضوان من ا أكبر) وقوله (قل قتال فيه كبير) . وقد تقدم في سورة البقرة .

وقوة الشهادة بقوة اطمئنان النفس إليها وتصديق مضمونها .

وقوله (شهادة) تمييز لنسبة الأكبرية إلى الشيء فصار ما صدق الشيء بهذا التمييز هو الشهادة . فالمعنى : أية شهادة هي أصدق الشهادات فالمستفهم عنه ب (أي) فرد من أفراد الشهادات يطلب علم أنه أصدق أفراد جنسه .

والشهادة تقدم بيانها عند قوله تعالى (شهادة بينكم) في سورة المائدة .

ولما كانت شهادة ا على صدق الرسول A غير معلومة للمخاطبين المكذبين بأنه رسول ا صارت شهادة ا عليهم في معنى القسم على نحو قوله تعالى (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات با إنه لمن الكاذبين) أي أن تشهد ا على كذب الزوج أي أن تحلف على ذلك بسم ا فإن لفظ (أشهد ا) من صيغ القسم إلا أنه إن لم يكن معه معنى الإشهاد يكون مجازا مرسلا وإن كان معه معنى الإشهاد كما هنا فهو كناية عن القسم مراد منه معنى إشهاد ا عليهم وبذلك يظهر موقع قوله (ا شهيد بيني وبينكم) أي أشهده عليكم . وقريب منه ما حكاه ا عن هود (قال إني أشهد ا) .

وقوله (قل ا شهيد بيني وبينكم) جواب للسؤال ولذلك فصلت جملته المصدرة ب (قل) . وهذا جواب أمر به المأمور بالسؤال على معنى أن يسأل ثم يبادر هو بالجواب لكون المراد بالسؤال التقرير وكون الجواب مما لا يسع المقرر إنكاره على نحو ما بيناه في قوله (قل لمن ما في السماوات والأرض قل) .

A E